قضايا وآراء

أخبار الخليج

العدد (17612) - السنة الحادية والخمسون - الجمعة 26 ذو الحجة 1447هـ - 12 يونيو 2026م

الحل العسكري لن ينهي صراعات الشرق الأوسط ويرسي السلام

بقلم:

د. جيمس زغبي ○

عندما كانت إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما تتفاوض على إبرام اتفاق نووي مع إيران، سألت مسؤولي مجلس الأمن القومي قائلا: «لماذا تسخرون كل نفوذكم الاقتصادي ومواردكم السياسية والدبلوماسية لمنع إيران من تطوير قنبلة لا تمتلكها (وحتى لو امتلكتها، فإنها لن تتمكن من استخدامها أبدًا) بينما يمكن استخدام هذه الموارد نفسها والإمكانات للضغط على إيران لإنهاء سياساتها القائمة على التدخل في شؤون الإقليم والتي تزعزع استقرار الدول في جميع أنحاء المنطقة؟!

وعلى الرغم من هذا التحفظ الذي عبرت عنه آنذاك، فقد أبديت تأييدي لخطة العمل الشاملة المشتركة عندما تم إعلانها، وذلك لأسباب ثلاثة. أولاً، كان «الاتفاق النووي» تسوية تفاوضية، وهو أمر أفضل دائماً من الصراع.

وعلى الرغم من تصريحات المتحدثين باسم البيت الأبيض بخلاف ذلك، قدمت كاثرين أشتون، وهي دبلوماسية بريطانية رفيعة المستوى شاركت في المفاوضات، تأكيدات أن الاتفاق لم يكن سوى خطوة أولى وأن سلوك إيران سيكون التالي على جدول الأعمال.

كان أملي أن تسود العقول الرشيدة وأن تؤدي العملية التي تم البدء بها إلى اتفاق أمني إقليمي وإطار عمل للسلام.

أما السبب الثاني، فكان سعي الجمهوريين الحثيث إلى تقويض ذلك الاتفاق وإسقاطه برمته. كان من غير المعقول أن يدعو الجمهوريون زعيماً أجنبياً، رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، لإلقاء كلمة أمام جلسة مشتركة للكونغرس لحثّ أعضاء الكونغرس على التصويت ضد رئيسهم. لقد كان ذلك تدخلاً غير مقبول في السياسة الأمريكية.

أما السبب الثالث (وربما الأكثر غرابة) فكان رد الفعل داخل إيران على الاتفاق النووي. ففي استطلاع رأي أجريناه بعد أشهر من إعلان الاتفاق، لمسنا تغيراً ملحوظاً في الرأي العام الإيراني.

لقد أظهرت استطلاعات الرأي السابقة التي أجريناها تأييداً واسعاً من جانب الإيرانيين لإنفاق النظام أمواله على حلفائه في لبنان وسوريا والعراق واليمن. ومع بوادر تحقيق السلام، للغرب، فقد اتخذت دول الخليج العربي مساراً مختلفاً، ركزت فيه على التنمية والسياحة والتجارة.

كان استمرار ازدهار الدول الخليجية يتطلب بيئة إقليمية مستقرة. ولذا، وفي خضم التوترات بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وإيران، قامت هذه الدول العربية بمبادرات دبلوماسية واقتصادية تجاه إيران، أملاً في بناء بيئة أكثر أماناً في منطقة الخليج.

بل إن الدول الخليجية كانت تأمل أن يغري الرخاء والأمن المشتركين الإيرانيين إلى الانضمام إليهم في السعي نحو صناعة مستقبل أكثر استقرارًا وازدهارًا، وأن يقنع ذلك الإسرائيليين بحلّ جرح التهجير والاحتلال الفلسطيني المزمن، مما يهيئ الظروف لتحقيق السلام الإقليمي. لكن ذلك لم يتحقق!

لقد أرادت إسرائيل جني الفوائد الاقتصادية للسلام الإقليمي، لكنها لم تكن مستعدة للقيام بدورها، حيث وسعت احتلالها وزادت من قمعها وخنقها للفلسطينيين. ثم جاء السابع من أكتوبر 2023، وانفجرت الأوضاع في المنطقة.

وبسرعة، وبينما كانت إسرائيل تشن حرب إبادة جماعية في غزة، دخل حليف إيران في لبنان في مواجهة مدمرة ومكلفة مع إسرائيل في الشمال.

شنّ الإسرائيليون حملة قصف دموية أسفرت عن مقتل آلاف اللبنانيين، بمن فيهم زعيم حزب الله. وبعد أشهر، شنّت إسرائيل والولايات المتحدة هجوماً على إيران، ما أسفر عن مقتل زعيمها الروحي، وردّت إيران بإطلاق النار، ما أشعل فتيل مواجهة أوسع.

أسفرت المفاوضات عما سُمّي بـ«وقف إطلاق النار»، إلا أن حصيلة القتلى الفلسطينيين واللبنانيين استمرت في الارتفاع. وعندما قرر الرئيس ترامب، بتحريض من إسرائيل والمحافظين الجدد الجمهوريين، «إنهاء المهمة» بهزيمة النظام الإيراني، اتخذ الصراع منحىً جديداً.

كثفت إيران اعتداءاتها على دول الخليج العربي المجاورة، وأغلقت مضيق هرمز، مما أدى إلى قطع 20% من إمدادات النفط والغاز في العالم، وأثر سلباً في اقتصادات منطقة الخليج.

يكفي قراءة بعض الصحف الإسرائيلية والعربية والأمريكية لإثارة الغضب والاستياء. لا يزال بعض المعلقين الإسرائيليين من اليمين المتطرف (وأتباعهم من المحافظين الجدد الأمريكيين) مقتنعين بأن كل ما هو مطلوب هو حملة قصف ضخمة أخرى، إلى جانب تنفيذ المزيد من «الاغتيالات المستهدفة» – وكأن هذه التكتيكات، التي استخدمتها إسرائيل مرارًا وتكرارًا، ستكون أكثر نجاحًا مما كانت عليه في الماضي.

في غضون ذلك، راح بعض كُتّاب الرأي العرب الراديكاليون يشيدون بما اعتبروه «براعة» التكتيكات الإيرانية. من الصعب تصور كيف يُمكن اعتبار قيام طهران بإثارة عداوة جيرانهم وتعريض مستقبلهم الاقتصادي ومستقبل المنطقة للخطر أي شيء آخر إلا أنه يمثل تهوراً وخيم العواقب.

أما وسائل الإعلام الأمريكية فهي أكثر إثارة للحيرة، مع إدمانها الواضح على متابعة وابل المنشورات المربكة والمتناقضة الصادرة عن الرئيس دونالد ترامب بشكل متلهف وغير نقدي.

وهكذا، وبعد عقد من إبرام الاتفاق النووي، بات الشرق الأوسط ومنطقة الخليج في وضع أكثر هشاشة من أي وقت مضى. ورغم أن الوضع أكثر تعقيداً بكثير مما كان عليه قبل عقد من الزمن، وأن العداء بين جميع الأطراف قد ازداد عمقاً، فإن السبيل الأمثل للمضي قدماً هو إدراك أن النهج المجزأ المتبع في التعامل مع المنطقة، لم يُسفر إلا عن زيادة هشاشة أمنها.

على الرغم من صعوبة تصور تحقيق ذلك في الوقت الراهن، فإن المطلوب هو العمل على وضع إطار أمني إقليمي قائم على عدم الاعتداء وعدم التدخل في الشؤون الداخلية واحترام سيادة جميع الدول، وإنهاء واقع الاحتلال الإسرائيلي والتوقف عن إنكار الحقوق الفلسطينية.

يستلزم تحقيق هذا الأمر إدراك أنه لا توجد حلول عسكرية للمشاكل السياسية في المنطقة. في الواقع، فإن كل جولة من العنف لا تزيد إلا من تفاقم المشاكل القائمة. إنه تحد كبير يتطلب قيادة ذكية وشجاعة وذات رؤية ثاقبة. قد لا تتوفر هذه القيادة اليوم، لكنها ضرورية، وهي الهدف الذي يجب أن نوجه جهودنا نحوه.

○ رئيس المعهد العربي الأمريكي

وزير الداخلية: الشعائر الحسينية أقدم من نظرية «ولاية الفقيه»

بقلم:

د. نبيل العسومي

يمثل اللقاء الذي عقده الفريق أول معالي الشيخ راشد بن عبدالله آل خليفة وزير الداخلية بنادي الضباط مع رؤساء ومسؤولي المآتم في المحافظات بمناسبة قرب موسم عاشوراء بحضور وزير العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف ونائب وزير الداخلية ورئيس الشرطة والمحافظين ونائبي رئيس مجلس شؤون الأوقاف الإسلامية استمرارا للنهج الذي تسير عليه وزارة الداخلية في التواصل مع مختلف فعاليات المجتمع البحريني بين فترة وأخرى وكلما دعت الحاجة إلى وذلك إيمانا منها بأن أمن وسلامة واستقرار المجتمع المحلي هو مسؤولية جماعية يجب أن يتحملها الجميع في إطار الشراكة المجتمعية.

يأتي هذا اللقاء المهم في ظروف استثنائية صعبة تمر بها مملكة البحرين والمنطقة نتيجة للعدوان الإيراني الآثم على بلادنا وما يشكله من تهديد لأمن واستقرار هذا الوطن وبعد الكشف عن التنظيم الإرهابي المرتبط بنظرية الولي الفقيه والمرتبط بالحرس الثوري الإيراني، وذلك بهدف تنسيق تنظيم مناسبة إحياء موسم عاشوراء وحماية هذه المناسبة الدينية من الخارجين عن القانون والذين يحاولون استغلالها للخروج عن الطابع الروحي لها لتحقيق أجندات سياسية مرتبطة بولاءات خارجية معادية للبحرين وهي جهات تعمل على الإضرار بوطننا وإلحاق الأذى به من خلال شبكات من العملاء من الذين خانوا وطنهم وفضلوا التخابر مع أعداء الوطن.

وخلال القاء تطرق وزير الداخلية الفريق أول معالي الشيخ راشد بن عبدالله آل خليفة إلى نقطتين مهمتين الأولى متعلقة بمناسبة موسم عاشوراء والثانية بشأن مستجدات القبض على عملاء ولاية الفقيه المرتبطين بالحرس الثوري الإيراني في ضوء القبض على 41 شخصا يعملون على نشر فكرة ولاية الفقيه من بينهم عملاء رئيسيون في البحرين يعملون على تنفيذ التعليمات التحريضية في محاولة للتأثير في المواطنين وخاصة الشباب والناشئة لتوريطهم في أعمال مخالفة للقانون من خلال زرع خلايا لتنفذ أجندات كيانات غير مشروعة.

لقد أكد وزير الداخلية أن موسم عاشوراء يأتي هذا العام في ظل أوضاع أمنية متوترة واعتداءات إيرانية آثمة ولذلك على مسؤولي المآتم والقائمين عليها العمل على تعزيز السلامة العامة والمحافظة على الطابع الديني والحضاري للمناسبة والالتزام بالقوانين والأنظمة وعدم ترك المجال لمن يعمل على تسيس المناسبة ومخالفة القانون ورفع رايات وترديد شعارات مرتبطة بأجندات وتنظيمات إقليمية تتعارض مع قيمة وطننا وهويته الوطنية، وعليه يجب أن يكون إحياء هذه المناسبة الدينية خالصة في حدود القيم التي ضحى الإمام الحسين عليه السلام من أجلها بعيدا عن استغلال المناسبة لخدمة أهداف سياسية لأنه لا تساهل مع المخالفين من الخارجين عن القانون، ذلك أن حرية ممارسة الشعائر الدينية مكفولة في البحرين وفق القانون وأن الدولة تسخر كل أجهزتها ذات الصلة خلال إحياء هذه المناسبة الدينية للمحافظة على سلامة المشاركين وحفظ النظام والالتزام بالتعليمات وعدم الخروج عن القانون وحمايتها من محاولات المندسين لاستغلال المناسبة لأغراض التحريض.

لقد أوضح وزير الداخلية أن ولاية الفقيه مشروع سياسي مغلف بغطاء ديني ولا يعتقد اتباع ولاية الفقيه بانتمائهم السياسي للدولة التي يعيشون فيها ، وإنما للولي الفقيه الحاكم في إيران وهذا أمر في منتهى الخطورة عندما يكون الولاء لغير الوطن خصوصا وإن هذه الشبكة المرتبطة بالولي الفقيه في إيران تعمل في الخفاء لتغيير الفقه الشيعي في البحرين بهدف توسيع الامتداد الإيراني وتكوين قاعدة موالية لإيران وقيادتها المتمثلة في الولي الفقيه في داخل المجتمع البحريني على غرار ما حدث في بعض دول المنطقة العربية من خلال التركيز على الشباب والناشئة والسيطرة على المآتم والخطب والدروس واستغلال المساعدات المالية.

إن البحرين تحيي ذكرى عاشوراء منذ عهد الآباء والأجداد بكل حرية وبرعاية الدولة وإن عزاء البحرين دائما يمثل الشعائر الحسينية فقط التي هي أقدم من نظرية ونهج ولاية الفقيه وإن موسم عاشوراء يحظى بدعم حضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين المعظم وصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن حمد بن عيسى آل خليفة ولي العهد رئيس مجلس الوزراء حفظه الله ورعاه كما أكد وزير الداخلية خلال اللقاء.

لماذا يستمر تعثر المفاوضات بين أمريكا وإيران؟

بقلم: علي العبدالله ○

بينما يركز الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، في إدارته المواجهة مع الجمهورية الإيرانية على اتفاق يمنحه صورة نصر يحفظ ماء وجهه بعد إعلاناته المتكررة عن تحقيق أهداف الحرب، تحاول القيادة الإيرانية الجديدة الحفاظ على الوضع الراهن بإطالة أمد المفاوضات لتعميق مأزق ترامب الشخصي ودفعه إلى قبول المطالب والشروط الإيرانية.

قاد فشل التصور الذي قدمه رئيس وزراء الكيان الصهيوني، بنيامين نتنياهو، ورئيس جهاز الموساد، دافيد برنياع، للرئيس الأمريكي في الاجتماع الخاص في غرفة العمليات في البيت الأبيض يوم 11 فبراير الماضي، وانطوى على تقدير متفائل قائم على انهيار النظام الإيراني واستسلامه بعد قطع رأسه بقتل قيادته بدءاً بالمرشد، قاد إلى وضع ترامب في موقف دقيق وحرج أمام الرأي العام الأمريكي عامة وأنصاره في حركة ماجا (لنجعل أمريكا عظيمة مجدّداً)، وأمام حلفاء الولايات المتحدة في الإقليم، التي فشلت في حمايتهم ووضعتهم وجها لوجه في مواجهة قيادة إيرانية جديدة أكثر تشدّدا وعدوانية، ما دفعه إلى العمل على أكثر من محور، لبنان والعراق، لسحب أوراق القوة الإيرانية، بالتركيز على فصل ملف لبنان عن ملف إيران برعاية مفاوضات مباشرة بين لبنان والكيان الصهيوني؛ وجعل نزع سلاح حزب الله ثمناً لوقف العدوان الصهيوني على لبنان، والعراق عن طريق الضغط على الحكومة عبر تجميد أموال النفط العراقي لدفعها إلى العمل على نزع شرعية أذرع إيران من الفصائل الولائية ودمج فصائل الحشد الشعبي في الجيش العراقي، لإقناع إيران بأنها بقيت وحيدة وأن ليس أمامها إلا القبول بشروطه السياسية والعسكرية.

انخرط ترامب في مناورات عسكرية بدءا بتشديد الحصار على الموانئ الإيرانية وملاحقة ناقلات النفط والتهديد بموجة قصف شديدة ضد البنى التحتية: الطرق والجسور ومحطات الكهرباء والمياه، وإرسال قطع بحرية إلى مضيق هرمز تحت شعار مساعدة ناقلات النفط على عبور آمن وقصف زوارق للحرس الثوري في المضيق ومواقع رادار ومنصات إطلاق صواريخ في جزر إيرانية، سيريك وقشم، ومناورات سياسية بالإعلانات المتواترة عن قرب الوصول إلى اتفاق وبتمديد وقف إطلاق النار 60 يوما والدخول في مفاوضات حول اتفاق من أربع مراحل، مع تأجيل بحث ملف البرنامج النووي.

كان لهذه المناورات السياسية علاقة مباشرة بتهيئة أسواق الطاقة والغذاء، بعدما بدأت علامات التوتر والقلق في الولايات المتحدة بين السياسيين، وفي أوساط الحزب الجمهوري، حزب ترامب، أو بين المواطنين، الذين بدأت موجة الغلاء، خصوصاً البنزين مع اقتراب موسم العطل الصيفية، تؤثر سلبا في قدرتهم الشرائية، ما قاد إلى هبوط شعبيته إلى مستويات غير مسبوقة، 35%، وفق استطلاع أجرته شبكة سي أن أن يوم 22 مايو الماضي، ووضعه أمام تحديات سياسية كبرى، أبرزها تعريض حزبه الجمهوري لخطر فقدان الدعم في انتخابات الكونجرس النصفية، التي ستجري يوم 3 نوفمبر 2026، بالإضافة إلى ظهور بوادر معارضة لسياساته وانشقاقات داخل الحزب الجمهوري.

لكن لم تنجح مناورات ترامب في دفع القيادة الإيرانية إلى القبول بمطالبه وشروطه وبالتنازل عن مطالبها لإنهاء الحرب. ركّز على وقف تخصيب اليورانيوم بالكامل وتدمير اليورانيوم المخصّب بنسبة 60% أو نقله إلى الولايات المتحدة لتدميره، وفتح مضيق هرمز أمام النقل البحري من دون فرض رسوم مرور مقابل رفع الحصار البحري والإفراج عن جزء من الأموال الإيرانية المجمّدة في بنوك دول كانت استوردت نفطاً إيرانياً، بينما ركزت القيادة الإيرانية على حق إيران في تخصيب اليورانيوم ورفع العقوبات بالكامل ورفع التجميد عن الأموال الإيرانية في الخارج وحق الإشراف على حركة المرور في مضيق هرمز، مع التشديد على حصول إيران على ضمانة ألا تتراجع الولايات المتحدة عن الاتفاق الذي سينجم عن المفاوضات بشأن برنامجها النووي.

استمرّ تبادل الرسائل والمقترحات عبر وسطاء إقليميين، باكستان وقطر بشكل رئيس، بعد تمديد وقف إطلاق النار 60 يوماً. لكن من دون تحقيق اختراق حقيقي، فقد علقت المفاوضات عند تبادل الرسائل والاقتراحات بسبب تمسّك كل طرف بمطالبه وشروطه، علق وزير الخارجية الإيراني، عباس عراقجي، على المفاوضات بين الطرفين بقوله إنهما «قريبان جدا وبعيدان جدا» من اتفاق نهائي.

واضحٌ من سلوك الطرفين أن كلاهما يخشى تبعات العودة إلى الحرب، بينما يستدعي استمرار الاستعصاء العودة إليها، فللتنازل عن المطالب والشروط انعكاسات استراتيجية على موقع الطرفين ومصالحهما الجيوسياسية، لا يمكن القبول بها، فتنازل الإدارة الأمريكية قد يضعف الولايات المتحدة، القوة الأولى في العالم وربما يجرّئ خصومها عليها وعلى مصالحها في كل الأقاليم، وتنازل القيادة الإيرانية الجديدة عن مطالبها وشروطها لا يعني انتهاء النظام الإسلامي فقط بل وانتهاء إيران قوة إقليمية وازنة، والعودة إلى الحرب لن تكون عودة إلى ذات النسق الذي تمت به خلال الهجوم الأمريكي الصهيوني وردّ ايران الذي شمل اعتداءها على دول الخليج العربية، بل ربما تكون حربا إقليمية أكثر ضراوة ووحشية. وقد دفع هذا كلاً من الطرفين إلى تركيز الجهود نحو تحقيق تقدم بالنقاط لدفع الطرف الثاني إلى تغيير مطالبه وشروطه أو تعديلهما.

ركزت الإدارة الأمريكية على إنهاء النفوذ الإيراني في لبنان من خلال رعاية مفاوضات لبنانية صهيونية، هدفها المعلن وقف العدوان الصهيوني على لبنان من خلال إجراء مفاوضات سياسية مباشرة تقود إلى عزْل حزب الله ومحاصرته داخليا وإنهاء قدرة إيران على التأثير في السياسات الداخلية اللبنانية. ردّت إيران بزيادة الدعم المقدّم لحزب الله والتهديد بقصف مستوطنات الكيان في الشمال، فيما لو عاد إلى قصف الضاحية الجنوبية في بيروت، ما دفع ترامب إلى الضغط على نتنياهو لوقف خططه لقصف الضاحية وبيروت؛ ما أدى إلى ربط الجبهة اللبنانية بالمفاوضات الأمريكية الإيرانية أكثر من ربطها بالمفاوضات اللبنانية الصهيونية. لكن ترامب ليس مع ربط جبهتي الحرب، وكان تركيزه على الحؤول دون انفجار الوضع، مع تأجيل أي نتائج نهائية بانتظار اتضاح صورة الإقليم.

أشارت تقديرات سياسية وعسكرية إلى استحالة حصول أي من الطرفين على كل مطالبه وشروطه، ودعت إلى البحث عن حل وسط يلبي بعض المطالب والشروط، ويحوّل الهدنة الحالية إلى وقف دائم لإطلاق النار والدخول في مفاوضات سياسية وعسكرية لإيجاد حل دائم للخلافات العالقة بينهما. وهو عرض معقول، لكنه يواجه معيقات وعقبات كثيرة، أولها رفض الكيان الصهيوني أي اتفاق يترك لإيران وحزب الله فرص التعافي وإعادة ترميم القوة، خصوصاً في المجال النووي، حيث ينظر الكيان إلى البرنامج النووي الإيراني على أنه خطر وجودي، وهو موقف تلتزمه إدارة ترامب.

لذا يسعى نتنياهو إلى عرقلة المفاوضات وتعقيدها. نقلت صحيفة نيويورك تايمز عن مسؤولين أمريكيين قولهم «إن إسرائيل تتجسّس على المفاوضين الأمريكيين للحصول على معلومات بشأن استراتيجية الرئيس ترامب ومواقفه المتغيرة بشأن المفاوضات مع إيران». ولن يتورّع نتنياهو عن تخريب المفاوضات عبر إيجاد تبريرات لمعاودة الحرب ضد حزب الله أو ضد إيران، قصف الضاحية الجنوبية لبيروت بتجاهل تام لتهديد الحرس الثوري كي يستفزّه ويدفعه إلى الرد، فتردم فرص المفاوضات مع الدمار الذي ستُحدثه القنابل والصواريخ.

كما يقف تيار في القيادة الإيرانية الجديدة ضد حل وسط، لأنه يراهن على أن الرئيس الأمريكي يستجيب لمنطق القوة أكثر من الدبلوماسية التقليدية. بالتالي، رفع سقف التهديد ولو نظرياً من المحتمل أن يدفعه إلى التراجع أو إعادة الحسابات، ويرون أن هناك فرصة لاستثمار الارتباك الأمريكي وإجبار الإدارة الأمريكية على القبول بمطالب إيران وشروطها، ويجب عدم تفويت الفرصة.

○ كاتب سوري

كيف تحاول إسرائيل الخروج من أزمة «الدولة المنبوذة» عالميا؟

بقلم:

د. منار الشوربجي ○

إسرائيل، المنبوذة اليوم من أغلب شعوب العالم، لا حكوماتها، تقوم آلتها الدعائية هذه الأيام بمحاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه من سمعتها. فقبل طوفان الأقصى، كانت تلك الآلة الدعائية تسوقها باعتبارها صاحبة «أقوى جهاز مخابرات» في العالم، وجيشها هو «أكثر الجيوش أخلاقية»، وباعتبارها تملك أكثر الأسلحة تطورًا ما يجعل هزيمتها مستحيلة!

وحين سقطت تلك الدعاية ظلت توجهاتها كما هي. فمنذ مراحل مبكرة للغاية في المشروع الصهيوني تبنت إلقاء الرعب في نفوس منتقديها الغربيين عبر العمل المنظم على ملاحقة كل من ينطق حرفًا، فتتأكد من طرده من الجامعة أو الوظيفة، ثم تتأكد من أن يضم سجله الشخصي تلك الواقعة وما جرى له بسببها لحرمانه من أي فرص مستقبلية.

والحالات التي حدثت لا تُعد ولا تُحصى لغربيين فقدوا وظائفهم ومستقبلهم، بمن في ذلك اليهود، مثل الأكاديمي نورمان فنكلشتاين. هذا ناهيك عن السياسيين الذين قضت على مستقبلهم السياسي، وعلى رأسهم الزعيم السياسي البريطاني جيرمي كوربين. باختصار، يمكن للمواطن الغربي أن ينتقد حكومته لكنه يُجَرَّم لو انتقد الحكومة الإسرائيلية ويدفع ثمنًا باهظًا.

غير أن ما رآه العالم بالصوت والصورة في غزة من إبادة وتخريب شامل كسر تلك المحرمات. إذ لم يعد كثيرون في الغرب يعبأون باتهام «معاداة السامية» الجاهز للاستخدام بمناسبة ومن دون مناسبة، رغم أن إسرائيل لا تزال تستخدم الحيلة ذاتها.

وحين أدركت أنها خسرت الشعوب اخترعت حيلًا جديدة للالتفاف عليها لتخفف الضغط على الحكومات الحليفة. وكان آخر تلك الحيل ما فعلته في أمريكا. فلأن الأمريكيين يضغطون لوقف المساعدات العسكرية لإسرائيل، أعلن نتنياهو أنه هو الآخر لم يعد يريدها!

ثم اتضح أن التخطيط كان يجري على قدم وساق لاختراع وسيلة جديدة تحصل من خلالها إسرائيل على كل ما تريد دون أن يعرف المواطن الأمريكي عن الأمر شيئًا. فبدلًا من برنامج المساعدات العسكرية الذي يخضع لرقابة الكونجرس وتصويته في جلسات علنية، تم إضافة بند خبيث لمشروع قانون الدفاع تحت عنوان «التكامل العسكري الأمريكي الإسرائيلي»، وهو يدمج العسكرية الإسرائيلية بالعسكرية الأمريكية ويجعل الأولى طرفا أصيلًا في البحوث العسكرية وإنتاج وتطوير التكنولوجيا العسكرية ونظم التسلح.

أي أنه بدلًا من مجرد الحصول علي المنتج النهائي، أي السلاح كمساعدات أو حتى مبيعات، ستعرف إسرائيل كل شاردة وواردة تدور في التطوير العسكري الأمريكي! وهو ما لم تمنحه أمريكا أبدًا لأي من حلفائها الأوروبيين!

ومن أساليب الدعاية التي تستعد بها إسرائيل من الآن ترويج فكرة مؤداها أن «المشكلة ليست إسرائيل وإنما نتنياهو وحكومته المتطرفة». والهدف أن انتهاء عهد نتنياهو، عاجلًا أو آجلًا، معناه أن صورة إسرائيل «الضحية الأبدية» عادت من جديد.

والحقيقة أن كل أحزاب المعارضة الإسرائيلية دعمت إبادة غزة وإبادة جنوب لبنان واحتلال أراض سورية والحرب على إيران. بل إن استطلاعات الرأي العام تؤكد موافقة أغلبية كبيرة من الإسرائيليين على كل ما تقدم.

ورغم التركيز المستمر على من يدعم إسرائيل بالمال والسلاح، فما لا يقل أهمية هو حجم الأرباح التي تحققها إسرائيل من بيع سلاحها الذي تصنعه بنفسها وبرامج التجسس التي تنتجها.

ففي عام 2025، مثلًا، حصلت على 19.2 مليار دولار مقابل بيع منتجاتها وهو ما شكل زيادة في الأرباح بمعدل 30% مقارنة بعام 2024! وشراء سلاح وأدوات تجسس إسرائيلية يعني اختراقًا مؤكدًا للأمن القومي للدولة أو الطرف المشتري.

أما هوية الذين يبتاعون البضاعة الإسرائيلية، في أوج إبادة غزة، فهي دول في آسيا وإفريقيا ودول أوروبية لكن أكبر المستوردين مثل الهند ودول أوروبية بارزة أعلنت الاعتراف بالدولة الفلسطينية!.

○ باحثة في العلوم السياسية